في الشعر والشعراء!

الشاعر الحق أبعد خلق الله عن الشر والضغينة، وأقربهم إلى الخير والمعروف. يعبر في صدق عن دخيلة قلبه وكوامن نفسه ودقائق حسه.

الشاعر نسر محلق يتميز من صغار الدجاجيات الساعية ليل نهار وراء فتات الموائد. يحب أمثاله الطيور، ويطرب لأصواتها، ويتمنى لو كان له جناحان ليتنقل بوساطتهما من غصن إلى غصن، ومن قمة إلى قمة، ومن وادٍ اغنّ إلى روضة فيحاء، وليتمتع بما تتمتع به من حرية لا تحدها التخوم، ولا تقف دونها الحواجز.

وكثيراً ما يناجي الشعراء الطيور، ويحمّلونها أرق التحيات إلى من يحبون.

ألم يخاطب أبو فراس الحمداني الحمامة النائحة، ويعجب بشجوها ونواحها وهي الحرة الطليقة، وهو الأسير البعيد عن امه وقومه ووطنه؟ ألم يرغب في مقاسمتها الهموم، ومشاطرتها الأحزان؟.

حتى النسور والصقور والعقبان، وصفها الشعراء وصفاً محبباً تستشف منه قوة لا تعرف العدوان ولا الطغيان، فجوارح الطير، لا تبحث عن فريسة إلا إذا استبد بها الجوع، وقسا عليها الحرمان، أما من يطلقون عليهم اسم البشر، فإنهم قلما يعرفون الشبع، بل يلتهمون كل ما يقع تحت أيديهم وهم متخمون!.

ليس الشاعر من هذه الفئة المتكاثرة من البشر، ولا هو من هذا العالم الغارق في مستنقعات المادة ووحول الأنانية والاستئثار. إنه إنسان بكل ما في الانسانية من معنى سام، ومفهوم أصيل نبيل. وحين يطمئن حشد من الطيور إلى الشاعر، ويثق بصحة قوله، يتفرق من حوله ويفسح له في مملكته طريقاً يمعن فيه صعداً، فتلمحه النجوم المطلة على الكون، وترى في خطواته نزوات من الألم والمعاناة، فتتيقن أنه عاثر الحظ، وأنه يعلل نفسه بالمنى، ويسير على غير هدى.

يمتطي الشاعر الحق صهوة الرياح. وفي جذور الرياح روح... فما أروع ما ينشد وما أسمى خياله وما أجمل معانيه! إنه يرى في شاهقات الكون كما في أعماق الذات ما فيها جميعاً من حقائق ومدهشات ويسمع الهمسات الخافتة والوشوشات الناعمة، ويروح يشدو بلغة الوحي والبلاغة شدواً رخيماً دونه صداح البلابل وعندلة العنادل.

الشاعر طائر يمعن في صعوده حتى يعانق النجوم ويزامل بارئ الأكوان، يبث العلى شوقه ويشكو إليه لواعج صدره، يسامره، يناجيه ويتغنى به ويصوغ في مديحه اجمل الأشعار.

يبقى الشعراء المحلقون، على ندرتهم في هذه الأزمنة، نسوراً لغتها الخيال الذي يبعث الروح حتى في العدم، فتسري فيه الحياة. وكلنا أبناء للحياة!.

د. جهاد نعمان